الفصل الأول

منهاج التربية

الإنسان هو أساس المنهج الإسلامى فى كل شئ لأنه هو الذى كرّمه ربه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (١) .

وهو خليفة الله فى الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) .

وهو الذى كلّفه ربه بإعمار الأرض واستخراج نعمها : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٣) .

لذلك وضع الإسلام المنهاج الذى ينشئ هذا الإنسان الصالح لخلافة الله فى الأرض وإعمارها .

الإنسان القدوة الذى ينشئ الأسرة الصالحة . . . الوحدة التى تتكون منها الأمة ، خير أمة كما أمرنا الله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) .

وهذه التربية الإسلامية ترتكز على الربانية والتكامل والشمول والاعتدال والتوازن والإيجابية والبناء والإخاء الذى يجمع القلوب .

وعن الربانية التى يدعو إليها الإسلام يقول الدكتور يوسف القرضاوى : « وعماد التربية الربانية هو القلب الحى الموصول بالله تبارك وتعالى ، الموقن

---

(١) الإسراء : ٧٠ (٢) البقرة : ٣٠
(٣) هود : ٦١ (٤) آل عمران : ١٠٤

بلقائه وحسابه ، الراجى لرحمته الخائف من عقابه ، فحقيقة الإنسان ليست فى هيكله المادى والأجهزة والخلايا والعظام والعضلات ، إنما هى فى تلك اللطيفة الربانية التى تسكن هذا الهيكل وتحركه وتأمره وتنهاه ، إنها المضغة التى إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب ، القلب أو الروح أو الفؤاد - سمه ما شئت - هو ذلك الكائن الواعى الذى يصل الإنسان بأعماق الحياة وأسرار الوجود ، وينتقل به من الأرض إلى السماء ، ومن الكون إلى المكوِّن ، ومن عالَم الفناء إلى عالَم الخلود » (١) .

لذلك تركز التربية الإسلامية دائماً على طَرْق أبواب القلب الإنسانى حتى يتفتح على معرفة الله ، ويرجوه ويخشاه وينيب إليه ويتوكل عليه ويوقن بما عنده ويأنس بحبه والرضا عنه ، ويسكن إلى قُربه ويطمئن بذكره : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢) .

وتعمل هذه التربية على تخليص النفوس من شوائبها الدنيوية وجعلها لله قبل كل شئ ، وقطع أطماع النفس عن كل مغنم أو مظهر دنيوى لا يُغنى عند الله شيئاً ، حتى تكون نفساً ربانية لا تشرك فى عملها مع الله شيئاً : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ (٣) ، ولا يبقى لها غاية إلا الله ، ويصبح صاحبها جندى فكرة وعقيدة لا جندى غرض ومنفعة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ (٤) .

فالله غايتنا . . .

وما دام الله غايتنا ، فلا نحرص على حب الظهور أو التفاخر بأعمالنا ، لأن الله مُطَّلِعٌ عليم ، لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء . . بل

---

(١) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ١٠

(٢) الرعد : ٢٨ (٣) الكهف : ١١٠ (٤) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

نحرص على أن نكون « من الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا ، وإن حضروا لم يُعرفوا » [1] كما قال رسول الله ﷺ .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [2] . . إذن فعلينا أن نملأ قلوبنا بدوام الصلة بالله تعالى والقيام بذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن نحرص على عمل كل ما يحبه ، وتجنب كل ما نهى عنه .

ولا يظن أحد أنها دعوة للرهبانية أو العزوف عن الدنيا ، بل هى دعوة للاعتدال والوسطية . . . إنها تربية للإنسان كل الإنسان ، عقله وقلبه ، روحه وبدنه ، خُلُقه وسلوكه ، كما أنها تُعِد هذا الإنسان للحياة بسرَّائها وضرَّائها ، سلمها وحربها ، وتُعِده لمواجهة المجتمع بخيره وشره .

« لهذا كان لا بد من العناية بالتربية الجهادية والتربية الاجتماعية ، حتى لا يعيش المسلم فى وادٍ ، والجماعة من حوله فى وادٍ آخر .

إنه التكامل والشمول الذى تميَّز به الإسلام فى مجال العقيدة ، وفى مجال العبادة ، وفى مجال التشريع ، يتميز به أيضاً فى مجال التربية » [3] .

لقد كانت أول آية نزلت فى كتاب الله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [4] . . . فعُلِمَ أن هذا الدين جاء ليخاطب العقل ويوجهه حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره ، يفكر برأسه ويتفقه فى دينه ، حتى يفهم عقيدته ، ويصحح عبادته ، ويضبط سلوكه ، ويعرف حدود الله فى الحلال والحرام ، فتكون حركته فى الحياة وفق عقيدته ووزنه للأمور والأشخاص بعقلية مسلمة .

« ولا بد أن يفهم الحياة من حوله ، كيف تسير وكيف تتحول ، وكيف تتأثر . . وما عوامل التسيير والتحويل والتأثير .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) الذاريات : ٥٦
(٣) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٢٣
(٤) العلق : ١

ولا بد أن يبدأ الأخ بمعرفة المجتمع الصغير الذى يعيش فيه كالقرية أو المدينة ، ثم يتدرج إلى معرفة المجتمع الأوسع كالوطن بالمعنى الجغرافى أو السياسى ، ثم الوطن الكبير - الوطن العربى - من الخليج إلى المحيط ، ثم الوطن الأكبر من المحيط إلى المحيط وهو الوطن الإسلامى .

ولا بد أن يعرف التيَّارات المناوئة والقوى المعادية من الصهيونية والصليبية والشيوعية وعملائها فى قلب العالَم الإسلامى من العلمانيين والمنحلين والمقلدين والحاقدين والنفعيين وغيرهم من عُبَّاد المادة وعبيد المناصب . .

وهذا ما قامت مناهج التربية الثقافية للإخوان على توفيره وتهيئته ، وأنشئ لذلك قسم الأسرة مستعيناً فى ذلك بكل الأقسام الأخرى وكل ذى خبرة فى مجال التربية الإسلامية .

كما أعلن مؤسس الحركة : « الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأُمة ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو خُلُق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، كما هو عقيدة سليمة وعبادة صحيحة سواء بسواء » (١) .

ويقول الإمام حسن البنا أيضاً : « إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأُمة التى تحاول هذا - أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل - إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أُمور : إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره ، على هذه الأركان الأوَّلية التى هى من خصوص النفوس وحدها ، وعلى هذه القوة

---

(١) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٢٦

الروحية الهائلة تُبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة وتتكوَّن الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حُرِموا الحياة زمناً طويلاً .

« وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة - أو على الأقل فقدها قُوَّاده ودعاة الإصلاح فيه - فهو شعب عابث مسكين ، لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً . . . وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون والأوهام : ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ (١) .

« هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسُنَّته فى خلقه ، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

« وهو أيضاً القانون الذى عبَّر عنه النبى ﷺ فى الحديث الشريف الذى رواه أبو داود : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثاء كغُثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن » ، فقال قائل : يا رسول الله . . وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » .

« أوَ لستَ تراه - صلى الله عليه وسلم - قد بيَّن أن سبب ضعف الأُمم وذِلَّة الشعوب وهن نفوسها وضعف قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة ، وإن كثر عددها وزاد خيراتها وثمراتها » (٣) .

إذن فتربية الإنسان - جوهر الإنسانية - تبدأ من الأخلاق الفاضلة التى بُعِث محمد ﷺ ليتمها ، واستطاع أن يُغيِّر بها نفوساً غليظة قاسية : « إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق » (٤) . . .

---

(١) النجم : ٢٨ (٢) الرعد : ١١

(٣) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص ٤٣

(٤) رواه مالك فى الموطأ واحمد فى مسنده .

الأخلاق التى تُغيِّر الأفراد فتتغير المجتمعات من حال إلى حال . . . والأخلاق هى رسالة محمد ﷺ حتى ليثنى الله عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

وحينما سئلت أم المؤمنين السيدة عائشة عن خُلُق رسول الله قالت : « كان خُلُقه القرآن » (٢) .

وقد كان عليه الصلام والسلام دائم الحض على حُسن الخُلُق : « وخَالقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن » ، ويقول : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً » (٣) ، كما قال : « إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » (٤) .

وهكذا يوجد الأساس الأول للمجتمع المسلم المبنى على المحبة والتراحم والتعاون ، المتمسك بضبط النفس ، والصدق فى القول ، والإحسان فى العمل ، والأمانة فى المعاملة ، والشجاعة فى الرأى ، والعدل فى الحكم ، والعزم على الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحرص على النظافة واحترام النظام .

ويشمل منهاج التربية فى الإسلام تعويد الفرد على :

١ - الصبر على وعثاء الطريق وفى معركة الحياة وفى مواجهة الصعاب . . . لأن الصبر هو العُدَّة عند الجهاد ، والقوة فى ملاقاة المحن ، والمعين على تكاليف الحق . . حتى قرن الله بين التواصى بالصبر والتواصى بالحق فى آية واحدة : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٥) .

كما قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ

---

(١) القلم : ٤ (٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود . (٣) رواه أبو داود وأحمد .
(٤) رواه البخارى . (٥) العصر : ٣

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (١) .

ولذلك كان دعاء الممتحنين بظلم الطغاة : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

وكان دعاء المقاتلين فى الميدان : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣) .

٢ = الثبات : وهو المكمل للصبر ، وهو أحد أركان البيعة عند الإمام البنا الذى يقول : « وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملاً مجاهداً فى سبيل غايته مهما بَعُدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام ، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنيين ، فإما الغاية وإما الشهادة فى النهاية : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ (٤) .

والوقت عندنا جزء من العلاج ، والطريق طويلة المدى ، بعيدة المراحل ، كثيرة العقبات ، ولكنها وحدها التى تؤدى إلى المقصود ، مع عظيم الأجر وجميل المثوبة .

وآفة كثير من المنتسبين إلى الدعوات ، قصر النفس وضيق النفس ، فينقطعون فى وسط الطريق أو يرجعون القهقرى ، أو ينحرفون يمنة أو يسرة بعد أن بَعُدت عليهم الشقة وثقل عليهم المسير وطال عليهم الطريق .

لهذا كان التأكيد على هذا الخُلُق (الثبات) ضرورياً لأمثال هؤلاء ، حتى يستمروا ولا يتوقفوا أو يرتَدُّوا ، وبخاصة أن النفس مولعة بحب العاجل وقد

---

(١) لقمان : ١٧ (٢) الأعراف : ١٢٦

(٣) البقرة : ٢٥٠ (٤) الأحزاب : ٢٣

خُلق الإنسان من عَجَل . ومن ثَمَّ قال الله لرسوله : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (١) .

٣ - **الأمل** : ومعناه الرجاء فى انتصار الإسلام والثقة بأن المستقبل له ، وأن نصر الله قريب ، وإن ادلهمت الخطوب وتفاقمت الكروب .

وكان الشهيد البنا يؤكد هذا المعنى ويصوغه بأساليب شتَّى ، محارباً ما أشاعه الاستعمار والجهل من يأس قاتل وقنوط مدمر ، مُذكِّراً بأن اليأس من لوازم الكفر ، والقنوط من مظاهر الضلال : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (٣) .

وبذكر أهداف الإخوان وآمالهم الكبرى فى تحرير مصر والعالَم العربى ثم الإسلامى ، ثم توحيده تحت راية الخلافة المنشودة ، ثم هداية العالَم كله ، ولا ينسى أن يذكر العقبات فى الطريق ، وهى شديدة وهائلة وكثيرة ، ورغم ذلك يرى من الحق أن يذكر عوامل النجاح أمام هذه العقبات جميعاً قائلاً : « إننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات ، وننادى بفكرة الإسلام وهى أقوى الفكر ، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع ، وإن العالَم كله فى حاجة إلى هذه الدعوة ، وكل ما قد يمهد لها ويضئ سبيلها ، وإننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية ، بعيدون عن المنافع الذاتية ، لا نقصد إلا وجه الله ، وإننا نترقب تأييد الله ونُصرته فمَن نصره الله فلا غالب له ، فقوة دعوتنا وحاجة العالَم إليها ، ونبل مقصدنا ، وتأييد الله إيانا ، هى عوامل النجاح التى لا تثبت أمامها عقبة ، ولا يقف فى طريقها عائق ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

ويقول الشهيد حسن البنا فى رسالته إلى الشباب : « يا شباب . . لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج ، فلا تهنوا ولا تضعفوا ،

---

(١) الأحقاف : ٣٥ (٢) يوسف : ٨٧

(٣) الحجر : ٥٦ (٤) يوسف : ٢١

وضعوا نُصْب أعينكم قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١) .

سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم ، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم ، وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم ، وستكون من بين هذا الشعب الحكومة المسلمة .

وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط ، وإلى الهدف الذى وضعناه لأنفسنا ، وسنصل بإذن الله ومعونته : ﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢) .

وقد أعددنا لذلك إيماناً لا يتزعزع ، وعملاً لا يتوقف ، وثقة بالله لا تضعف ، وأرواحاً أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة فى سبيل الله » .

٤ - **البذل** : إنه الركن المكين فى منهج التربية الإسلامية التى تدعو المرء ليعطى ليستفيد غيره ، ويزرع ليحصد الآخرون ، ويتعب ليستريح الناس ، ويستعذب التضحية من أجل عقيدته » (٣) .

* *

● **العناية بالجسم :**

قيل : إن العقل السليم فى الجسم السليم ، لذلك عنى الإسلام بصحة البدن وسلامته ، فأوصانا بالنظافة وأولها الوضوء للصلاة الذى ينظف كل الأعضاء البارزة من الجسم ، كما أوصى بالوقاية والعلاج .

ومن الوقاية الابتعاد عن كل ما يضر الجسم كالسهر الطويل والتدخين والخمر وغيرها .

---

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) التوبة : ٣٢

(٣) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٣٢ - ٣٨ (باختصار) .

وأمرنا بالمران لتقوية الأجسام ليكون المرء قادراً على الحركة نافعاً فى ميادين الجهاد ، فيقول الرسول ﷺ : « علِّموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل » (١) ، كما يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كُلٍّ خير » (٢) .

ويكون ذلك بإقامة الأندية الرياضية والمعسكرات الدورية للتدريب الجاد على حياة الخشونة والتحمل .

❊ ❊

● الإعداد للجهاد :

إن الجهاد إيمان وأخلاق ، وروح وبذل ، مع الانضباط والتدريب .

وكان الإخوان المسلمون يُذكِّرون بالجهاد بالاحتفال بالمناسبات الإسلامية المتصلة به كالغزوات الكبرى مثل بدر وفتح مكة وغيرهما . . . ويقررون على الأسر الإخوانية قراءة كتاب أو أكثر من كتب السيرة ، وما السيرة إلا جهاد متواصل فى سبيل الله .

والجهاد فريضة قائمة يجب التذكير بها بعد أن غفلنا عنها منذ دخل الاستعمار بلادنا ولا ننسى العهد علينا : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (٣) .

ولا يقتصر الجهاد على قتال الغاصبين والمحتلين لأرض المسلمين ، بل يشمل أيضاً جهاد المنافقين والمبتدعين والظَلَمة والفَجَرة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٤) .

« وقد تحدَّث النبى ﷺ عن الأمراء الظَلَمة الذين يقولون ما لا يفعلون

---

(١) رواه ابن منبه والديلمى .
(٢) رواه النسائى وابن ماجه .
(٣) التوبة : ١١١
(٤) التوبة : ٧٣

ويفعلون ما لا يؤمرون ، وبيَّنَ واجب الأُمة المسلمة حين تُبتلى بحكمهم وتسلطهم فقال : « مَن جاهد بيده فهو مؤمن ، ومَن جاهد بلسانه فهو مؤمن ، ومَن جاهد بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . . يشير إلى أن الجهاد بالقلب - جهاد الكراهية والغضب والنفرة والمقاطعة - هو أضعف مراتب الإيمان وهو لمن عجز عن جهاد اللسان ، كما أن جهاد اللسان لمن عجز عن جهاد اليد ، ولذلك كان من أعظم الجهاد فى الإسلام : « كلمة حق عند سلطان جائر » .

« والجهاد الكبير هو جهاد الدعوة والثبات على تبليغها والصبر على مرارتها وتحمل مشاقها وطول طريقها ، وهو ما تشير إليه أوائل سورة العنكبوت : ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ (١) .

وفضلاً عن هذا كله . . هناك جهاد النفس حتى تتعلم الإسلام وتعمل به وتدعو إليه وتثبت على طريقه حتى تفوز بإحدى الحسنيين » (٢) .

أما كيف نبلغ بهذه التربية إلى تكوين المجتمع المسلم - هدفنا الأسمى على الأرض - فيبدأ ذلك من إيقاظ العقل من نومه وتوجيهه للنظر والفكر وهما جوهر العبادة . . يقول تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ، أَن تَقُومُواْ للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « لا عبادة كالتفكير » (٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه : « فكر ساعة خير من قيام ليلة » (٦) .

---

(١) العنكبوت : ٦

(٢) التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا - للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٤٦

(٣) يونس : ١٠١ (٤) سبأ : ٤٦

(٥) عن ابن حبان . (٦) عن أبى هريرة .

والذين يجحدون نعمة العقل ويغفلون عن آيات الله ويمرون فى الأرض عمياً عن آيات ربهم يهبطون بمستواهم إلى ما دون مستوى الحيوان : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١) .

ومهما صحا العقل فهو دائماً فى حاجة لأن يرى القدوة ، لأن المنهج لا يغنى إن لم يتحول إلى حقيقة . . إلى بشر يترجم بسلوكه وأعماله ومشاعره مبادئ المنهج على أرض الواقع .

لذلك كان رسول الله ﷺ قدوة للناس : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢) .

لقد رآه أصحابه تتجسد فيه كل مبادئ الإسلام وكل ما جاء به القرآن . . قدوة تمشى على الأرض فتهفو لها النفوس وتتحرك المشاعر ويحاول كل أن يقتدى بقدر ما يطيق .

حقاً . . كان رسول الله ﷺ أكبر قدوة للبَشرية وكان مربياً وكان هادياً بسلوكه قبل أن يكون بالكلام .

إن القدوة أعظم وسائل التربية . . . فلا بد للطفل من قدوة فى أُسرته لكى يتعلم منذ طفولته المبادئ الإسلامية ويسير فى هَدْيها . . ولا بد للناس من قدوة فى مجتمعهم يلمسوا فيها طابع الإسلام وهَدْيه لكى يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال . . قدوة فى قائدهم أو حاكمهم أو معلمهم يرون فيها المثل فينسجون على منواله ، لأن الإسلام قد جعل من التربية منهجاً شاملاً يبدأ بولى الأمر وينتهى بالطفل الصغير .

---

(١) الأعراف : ١٧٩ (٢) الأحزاب : ٢١

وقد حرص الإسلام على زرع وسائل التذكير - وقد تعاظمت هذه الوسائل فى عصرنا - . . فالصلاة وتلاوة القرآن والذهاب إلى المسجد وإخراج الزكاة وغير ذلك كلها وسائل توقظ النفس ولا تتركها عُرْضة لأن تنسى فتغلبها النفس الأمَّارة بالسوء . . . التذكير الذى يرقى بالنفس إلى مرتبة النفس اللوَّامة التى تنتهى إلى النفس المطمئنة التى اطمأنت بالإيمان واستقامت عليه .

إن من موجبات هذا الإيمان قول رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) ، وقول المولى عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢) .

فتصبح الجماعة كالسجد الواحد يشد بعضه بعضاً ، ويتحقق الإخاء الإسلامى الذى شاهدت الدنيا أروع أمثلته يوم آخى النبى ﷺ بين المهاجرين الفقراء والأنصار الأغنياء : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٣) .

إن التربية الإسلامية هى طريق النجاة من عبادة العقل وعبادة المادة وأغلال الحتمية الاقتصادية والحتمية التاريخية وغيرها من الآلهة التى عبدها الناس ، فأدت بهم إلى الشقاء بعد أن بعدوا عن منهاج الله الذى يدعوهم للتوجه إلى خالقهم الواحد الأحد المالك لكل ما فى الأرض وما فى السماء : ﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٤) . . . فلا يتطلعون لأحد غيره ولا يتعبدون لأحد سواه فيصلح حالهم وتنتظم حياتهم .

لذلك كانت التربية الدينية للنشء من أهم مواد الدراسة التى توصل إلى تقوية الشعور الدينى وتربية الناشئين تربية خُلُقية صحيحة .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) الحجرات : ١٠
(٣) التوبة : ٧١
(٤) يس : ٨٣

وثمرة التربية الإسلامية :

١ - « أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو تقدم أو تأخر ، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة ، لا جندى غرض ومنفعة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾ (١) .

٢ - إصلاح النفس حتى يكون الفرد قوى الجسم ، متين الخُلُق ، مثقف الفكر ، قادراً على الكسب ، سليم العقيدة ، مجاهداً لنفسه ، حريصاً على وقته ، نافعاً لغيره وذلك واجب كل أخ .

٣ - تكوين البيت المسلم بأن يُحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية وحُسن اختيار الزوجة وتوقيفها على حقها وواجبها ، وحُسن تربية الأولاد وتنشئتهم على مبادئ الإسلام .

٤ - إرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه (٢) .

٥ - الحرص على طلب العلم ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم . . . « وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُورّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورّثوا العلم . . . فمَن أخذه أخذ بحظ وافر » (٣) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « مَن دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجرهم شيئاً » (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٥) .

* * *

---

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ (ملخصاً) .

(٣) رواه أبو داود والترمذى . (٤) رواه مسلم . (٥) المجادلة : ١١